الشاعر حسن عبد الله الشرفي راوياً

الحلقة الثانية والأخيرة

فن السيرة الذاتية له الكثير من الصور والأشكال، ولعلّ كل كاتب يجسد صورا من حياته وتجاربه التي مر بها وعاشها بمختلف مراحلها في معظم أعماله -إن لم تكن جميعها- ولا يمكن للكاتب أن يكون موضوعيا مهما حاول ذلك، فالذات تلك الشاعرة المبدعة صانعة القول ومحركة الخيال وملهمة الحرف من علاماتها أنها تتشظى متوزعة كالروح في مفاصل كل الكتابات وجنبات كل الأنواع الأدبية شعرية -كانت- أو روائية قصصية أو حتى مقالية فكرية، فلا شك أن مواقف من الحياة راسخة، ومعالم من التجارب الشخصية مؤثرة، وطرائف من المفارقات واضحة حين يجري القلم بالكتابة، فبوعي ولا وعي يستدعي المبدع المواقف من السيرة الذاتية التي كانت ذات أثر في وجدان الأديب، ومن هنا فلا غرابة أن نقول بأن الإنسان خلاصة ما يقرأ في الحياة من مكتوب /مقروء، ومن ملموس معاش، يظهر كل ذلك ويتجلى في تجربته الإبداعية، فيميز ثراءها من عدمه، بل وعلى قدر تلك القراءات وعمق التجارب في المعيش بعين الذاكرة الدقيقة وحضور الماضي في الحاضر والمقروء في المكتوب في لحظة الكتابة يكون تميز المنتج الإبداعي وخلوده وتفرده.

د. إبراهيم أبو طالب *

ولكنه كغيره من أبناء ريفنا الواسع حين يشتدّ عوده، ويقوى عمودهِ وقد أخذ من العلم نصيباً كافياً- ولو حتى في نظر الأهل- عليه أن يبدأ بالإحساس بحاجتهم، ويسهم في المساعدة في شؤون الحياة، وليس إلا الرعي الذي يعد سبيل المشاركة، وإن كان لا يرغب فيه، وسيأتيه عنوة، ولكنها ظروف العيش التي كان قد مهد للحديث عنها من قبل وشكا حالها، من خلال سؤاله الوجودي المقلق لوالديه، وهو السؤال المعبر عن ضيق ذات اليد:

وأنا أسأل أمي وأبي
قلةٌ في الرزق، أم قلة حيل؟!

وحين لا يأتيه الجواب الشافي واضحا، يأتيه الأمر بالرعي مرغماً له دون رغبة فيه، ولكنه المتطلع المحب للمكان والمتأمل لبراءته ودهشته سيجد فيه لذة المسعى، وكأنما هو بروحه المعطاء سيسيل حبا يروي الحقول، وينبت الحياة فيما يمر به وعليه:

لكنه المرعى أتاني عنوةً
فأنا بعض صعاليك «هُذيل»
سيداتي سادتي هذا أنا
ومعي «هوشي» وغيلي أيّ غيل!
إن يكن أفق حياتي مجدباً
فبنفسي للتجلي ألف سيل(10)

هكذا يكون الشاعر المتطلع وهو في خطابه بـ«سيداتي سادتي» كأنما يضعنا من جديد في خاصية السرد الحكائية أمام مسرح متخيل يحكي فيه سيرة شاعر من طفولته حتى الصبا.

ثم يأتي الشباب بإحساساته ومغامراته البريئة المبكرة، مع رصد للنبضة الاولى لقلبٍ خال يحسب كل نبضة هي الحب الذي لا حبَّ بعده.

وللصبوات في المرعى شعابٌ
مراهقة كموال الصبايا
أهشُّ بها إلى بصري وسمعي
وألقي في نزاغتها عصايا(11)

ما أجمل توصيف مفردة (نزاغتها) المنقوعة بروح الريف، ودلالات ظلالها اللهجية الشقية البريئة، ثم هو فوق ذلك كله يبرهن عن قارئ مطلع في استدعاء الموروث والتناص معه من خلال كلمتي:«أهش، وعصايا» ولكنه يوظفهما في غير ما جاء به النص الأول، وهو القرآن الكريم :(وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى((12)، وإن كان الجامع للدلالتين هو المرعى والغنم، وهما اللذان اشتغل بعالمهما الأنبياء ليعلمهم الله الصبر والقيادة، إذاً فهل موسانا يناجي الحب ويهش بعصاه في واديه المقدس طائشات الدرايا اللائي يستعجلن الحبَّ في زنابقه ولمّا تستوي؟!:

وقلبي ما يزال بغير قلبٍ
وهنَّ أشفُّ من ضحك المرايا
وما في دندنات البوح إلا
صغير الحسّ مرتبك النوايا13

لم يعترف بحبه لعام ونصف، وهو يكتّمُ حباً قد برى جسمه الصغير، ثم تأتي لحظة المكاشفة والندم على فوات الأوان –ولا أدري أي فوات هذا في العقد الأول من العمر؟!– ولِمَ لَمْ يخبرْ من يحب؟ وهو يبكي ما فات بكاء عصفور حبيس محاورا من يهوى في مقام العتاب يقول:

لماذا لم تقل لي قبل هذا
وقلبي منك ملتهب الحشايا ؟!
بكيت بكاء عصفور حبيس
وودعت التحافة والتحايا (14)

هنا نهاية فصل سابق مؤرخ بـ (المفتاح من 1952 إلى 1957م) ليبدأ الشاعر السارد الحديث عن فصل جديد من تطور حياته مع العلم وتحوله بمناهج علمية ومتون التعليم في عصره كسبل السلام، وكتاب الأزهار، والغيث المدرار، ويلتقي بسيبويه ونحوه وصرفه، وكل متون العلم التي تقترن بمتون متاعب الشاعر، وما أعذب هذه المزاوجة والتماس بينهما التي ستلخصُ تجربةً شاعرية موجزة بسؤال المتعلم للمتعلم زميله وللعالم أستاذه، ويأتي الجواب:

ماذا قرأتَ ؟! قرأتُ متن متاعبي
وحفظتُ شرح السائد المنهار
ويدور همسٌ في المكان مبشراً
بغد بديع العزف والأوتار (15)

وكما نلاحظ عودةً المكان وسيطرته، ولكن إلى أي مكان الآن، وما هي المرحلة ؟ وأين طموح النظرة البعيدة ؟ إنها صنعاء:

وتجول صنعاء السؤال بخاطري
ويكون غمدان المتاعب جاري

ولا شك أن هاجس المكان يرتبط بالمتاعب، ولكن هيهات أن تكون عائقا أمام همة الشاعر وطموحه التواق، فلا بد من صنعاء، غاية كل ذي همة:

وهتفت يا صنعاء أنت محجتي
ويخيفني ما فيك من أسرارِ
صنعاء حتى هبّ ماردها معي
سنتان من عزم ومن إصرار (16)

فريدٌ هذا التماهي مع المكان، ومع الأحداث، فمارد صنعاء، والمقصود به مارد الثورة كناية عن قيام ثورة 26 سبتمبر التي شُبّهت بالمارد الذي خرج من قمقمه معلناً نهاية عهد وبداية عهدٍ جديد، يهبّ مع مارد آخر يتدفق من أعماق الشاعر، ويستخدم الشاعر الزمن كخلفية ذكية لرسم الأحداث التي عاشها، بما يعتمل داخل المكان من أحداث تلتقط من زاوية رؤية الشاعر، وتطوى المرحلة في صفحة الشاعر مؤرخة بـ (1958م إلى 1962م).

في الفصل الثاني سيلخص لنا الشاعر ثمان سنوات من عمره هي ما بين (1963م1970–م) ماذا جرى له فيها ؟، و كيف يتأملها ؟ وما هو أثرها النفسي والمعيشي على حياته؟، وهي مليئة بالرؤى والتأملات الخاصة والعامة ولا أظن أحدا من الأدباء ورجال الفكر قد شخصها بهذا الوصف المتميز النابض ذكاءً و معرفة في مرحلة حرجة من حياة اليمن.

مع من أكون ؟ هنا مزايدةٌ
قبليّةٌ وهنالك الذَّهبُ
سبتمبر ما عاد من أحد
يُرجى، وكل رجاله ذهبوا
وأتى عفاريت الريال كما
يأتي الجرادُ، ويطفح الجربُ
وبقريتي الأولى سكنتُ إلى
نفسي وفيها القاتُ والعنبُ(17)

إنه قرار الاعتزال وقت الاضطرابات السياسية، ولزوم البيت في الوقت الذي لا يجد المرءُ ذاته ونفسه، وهنالك وجد القات مهرباً وعبّر بالعنب مذاقا للحياة، وفيهما دلالة الرضا بالقليل والوئام مع النفس، ولا ينسى وهو البارع في الحكي أن يخبرنا أنه اشتغل بمهارات ومهن مختلفة، فقد غدا فلاحا، وطبيباً، وخياطا، وغيرها، وهو بكل ذلك إنما يريد أن يكون إنساناً بكل معنى الكلمة، بل ولعله أكثر من ذلك قد تماهى مع البيئة وغدا سنبلة في واحات الحياة وهو في جميع ذلك إنما هو مجربٌ ماهر، ومتنقلٌ مكتشف يصنع ذاته ويقوّي أدواته التي يأخذها من ميدان الحياة ومن تأملات أعمالها وإنسانها، ففي حين كان الناس ينشغلون بالحرب كان ينشغل بالحياة وبالناسِ، وبالسلم مع نفسه ومع الآخرين، ولكنّه لم يكن منفصلاً عن واقعه بل كان متأملاً متابعاً حتى تنتهي هذه المرحلة والضائقة ويعود الناس إلى صوابهم وتعود لصنعاء عافيتها.

سبعٌ يقول الناس: كيف أنت ؟
وأنا أقول علام نحترب ؟
في السجن ثورتنا ودولتنا
والشعب خلف جداره لُعبُ

إنه أبلغ توصيف لما حدث، وأرق تعبير في أوجز بيت يختصر الكثير من المذكرات والكتابات التاريخية التي أجتهد فيها الكثير ممن كتب عن الثورة وأرّخ أحداثها، فالثورة والدولة في السجن والشعب خلف الجدار ليسوا سوى لعب للآخر المعادي، تلخيص موفق وتشبيه غير مسبوق، ثم تنتصر صنعاء وبانتصارها تعود الحياة لليمن كما يعود الأمل للشاعر، وتنتعش الذاكرة لديه، ويتدفق الأدب.

وتقول صنعا للحصار أنا
أقوى وخاب الذيلُ والذَّنَبُ
وتعيد لي صنعاء ذاكرتي
معها فأدري ما هو الأدبُ.

(من عام 1963م إلى 1970م)

ثم يأتي أهم فصل في حياة الشعر، وهو تدفقه ونبوغه في حياة السارد للحكاية؛ حيث تبدأ مرحلة الشعر «قل هو الشعر
فأدخل مدائنه
بالسلام على أهله
إنكَ الآن في الزيدية» (18).

وهذه من أخصب مراحل الشاعر النفسية وفيها الغناء، (وا طائر امغرب) التي حلقتْ بعيداً في الآفاق بصوت «أيوب طارش»، وأعلنت نبوغاً وشاعرية لدى شاعرنا، وما كان من تجليها هو أكثر؛ حيث غدا الشعر سدرة المنتهى وجنة الشاعر عند بابه، وقد تحقق ودخل هذا الميدان وتقلب في جناته الوارفة.

وفي هذه المرحلة تمضي حياة الشاعر في تنقله خلال المكان ما بين الزيدية، والمفتاح، والعوجاء، وجلسات القات وأسرار المحاجن في حقول المحابشة، وكحلان الشرف، وأفلح اليمن، وقد استمرت عشرين عاماً (من عام –1974 1993م) وعلى الرغم من طول الفترة في عقدين إلا أن الشاعر لم يفرد لها إلا فصلين من قصائده هما: الـ (7) و(8). ثم ماذا بعد أيها الراوي ؟

ثم تأتي بخصبها صنعاءُ
ولصنعاء قصة عصماءُ
في تفاصيلها العذارى محبٌ
قلبه والنسيمُ فيها سواءُ(19).

ويمضي شاعرنا الشرفي في حديثه عن مواجيد صنعاء، وأشجانها وحكايته مع حواء فيها، وكيف كان يدري كيف يغزي الفضاء قبل خمسين عاماً، وها هو الشعر رفيقهُ وجناحه، والحياة تمضي معه بعسرها ويسرها، ولكنه ذلك الشامخ عزيز النفس:

ملء نفسي أنا وعزة نفسي
ورفاق قلوبهم بيضاء
ثم ستون ما رآها صباح
تشتكي ولا رءاها مساء
قل لهم إنني هنا عامريٌّ

قلبه كله كؤوس ملاءُ (20)

إنه الحب المتدفق والقلب النابض المليء بكؤوس التصميم والإصرار والحيوية وليس للستين سوى الأرقام، فالنفس شابةٌ مليئة بالحياة، والشباب المتطلع. ولعل هذا الاختزال في الزمن دليل ثبات في الظروف وفي العيش مع اقتناع بما حققته الذات في صنعاء، ومعها من حضور وشعر وحياة هانئة وليس أدل عليه من هذا التوقيع التالي المعبر في نهاية المقطع (صنعاء من 20 أغسطس 1993م إلى 2007م).

ولكنه فيما سيأتي من فصول سيقوم بنوع من الاسترجاع للحديث عن أشجان إنسانية، ومواقف اجتماعية تظل فيها صنعاء مُجاورةً منافستها القرية في وجدان الشاعر، وهو يتحدث ويروي عن يوميات ظريفة في صنعاء ترتبط بحياة الشاعر مع الأصدقاء والأحداث وفرن الكدم الطازج، وشقاوة النظر وإحساس الحب والرغبة فيه، كما تبدو تنقلات الشاعر داخل حارات صنعاء القديمة وأروقتها وسوقها العتيق، تراقبه في وجدانه قانصات الطرف والقلب الأخضر النابض بالحب والجمال والشعر بحبره الملون.

ثم تأتي نهاية هذه الرواية الشعرية السيرية وفيها قدر كبير من الحكمة في خلاصات السرد، ولعل ما يدهش فيها هو ما ذهبنا إليه بدايةً في أن المكان هو الموضوع الرئيسي والتيمة المهيمنة في عمل الشاعر، يظهر ذلك في عموم القصيدة/الرواية التي بلغت (408) بيتاً وسطرا شعريا، وفي عشرين فصلاً. إضافة إلى تأكيده بمفردة المكان نفسها التي توجّه السرد توجيها ذهنيا وفنيا واضحا:

إذا أنت واجهت المكان بحجمه
فلا شيء مما في الحكايات يمنعك
وإن أنت قابلت الزمان بثوبه
صنعت به ما راح في الناس يصنعك 21

خلاصة من الشعر الواضح البناء والخبرة العالية الأداء بعنصري السرد اللذين وصلنا بهما مع الشاعر إلى هذا الختام، وهما: المكان –وهو الغالب–، والزمان، وواضحٌ مقصد الشاعر من خلال قوله عن الحكايات التي مرت بنا، والتي تظل حاضرة ثابتة في وجدان الشاعر وحياته، ثم تظهر هذه الثقة بالنفس كوصية لكل طالب حكمة، وخلاصة لكل مدرك راغب في المعرفة، واستطلاع تجارب الناس تبرز في قول الشاعر السارد ذي الحكمة البالغة.

بنفسك كن، حتى ولو لم تكن بها
سواك، لتدري حينها كيف ترفعك (22)

يا لله ما أعظم هذه النفس التي تُذكّر بنفوس العظماء الكبار الذين لم يحقق لهم الخلود سوى هذه النفس الرافعة لصاحبها، وهو في ختام سيرته يؤكد على صنعاء الحبيبة التي هي في وجدانه ديوان شعر عذب، ويقول لها ما لا يقول لغيرها، وها هو ذا يضع توقيع الختام كناصح غير خداع –وحاشاه من الخداع– وهو ذو النفس الأبية الشفافة، منصرفاً في الختام بلياقة وذوق رفيعين، ولكنه في انصرافه لا ينسى أن يخاطب معشوقتَّه صنعاء (المكان، والإنسان) مؤكدا حبه لها، وإن كانت فصول الحكاية لم تطوَ بعدُ وفي جراب راويها الكثير من العجائب والمدهشات.

وعندي لصنعاء الحبيبة قُبلةٌ
وديوان شعر ما درى أين مطلعك؟
أقول لها ما لا يقال لغيرها
من الحب واسألها، وإن سال مدمعك
يقولون لي ما قلته لك، والمدى
طويلٌ، وما مثلي بما قال يخدعِك (23).

إنها خبرة حياة ثرية، وتجربة شعرٍ متدفقة، قلّ أن تجد في تجارب الشعر مثيلها لشاعرٍ تُفخر به اليمن، وتعتزّ بشاعريته المحلقة وعطائه الثري، لقد غدا حسن عبد الله الشرفي مدرسةً شعريةً يشار إليها بالإعجاب، وتوضع تاجاً على هامات البيان الساحر، وهي جديرة بالخلود لأنها ثبّتتْ نفسها في الشعر اليمني المعاصر كأجمل ما يكون الثبات، وأعرق ما تكون الشاعرية الصادقة كيفاً وكماً وجمالا.

الهوامش:
10) نفس الصفحة.
11) نفسه، ص 46.
12) سورة طه، الآية 17، 18.
13) الأعمال الكاملة، نفس المصدر، ص46.
14) نفسه، ص 48.
15) نفسه، ص 50.
16) نفسه، ص 51.
17) نفسه، ص 52.
18) نفسه، ص 54.
19) نفسه، ص 63.
20) نفسه، ص 64.
21) نفسه، ص100.
22) نفس الصفحة.
23) نفس المصدر، ص 101.

نصوص 2

(1)

خذيني، وانصرفي،
ما عدت أنا، صرت غيري..
سأجلس على مقعدٍ في النسيان
هارباً من عدالة الذكريات،
ومن حبٍّ هزمني بالضربة القاضية.

خذيني، وانصرفي،
سأبقى مع تفاصيل القصة،
وسأنتظر عودتي
من رحلة تيهٍ موغلة في الشجن،
وربما أجدني بلا مَلامح أو مدى،
وربما أجدني اسماً عابراً
في دفتر مذكراتك اليومية.

خذيني، وانصرفي،
ما عدتُ أميّز بيني،
وبيني.

(2)

يذهب إليها على جناح الحنين،
يجدها غائبة عن الشوق.

يذهب إليها حالماً بالمواسم اليانعة،
يجدها مسوّرة بالربيع المؤجّل.

يذهب إليها مذخّراً بالذكريات الظامئة،
يجدها مليئة بالنسيان.

يذهب إليها معارضاً لطغيانها،
يجدها ضحية الأقوال الصديقة.

يذهب إليها موالياً لعينيها،
يجدها خارج المدى.

يذهب إليها بحراً من اللهفة
يجدها بلا شواطئ.

(3)

كان لي شارع باسم «حالة غرام»
داهمته مظاهرة ضد النظام،
فرّت منه الأشواق
وغادرته عصافير القصيدة،
واختفت من نوافذه وردة القلب،
وأغلق بائع الصبر دكّانه،
وهجر العاشق المجنون زاويته المفضّلة،
وانطفأ عمود الإنارة حزناً،
وارتدت البيوت حِدادها،
ومشت فيه الوحشة بزهو وخيلاء،
ووجدت نفسي وحيداً
أذرف حنيني
وأعبر الأيام، تحت وابلٍ من الذكريات.

Kood500@Hotmail.com

إصدارات ثقافية

رؤية تاريخ العالم بطريقة أخرى

■ يبدو تاريخ العالم للكثيرين، وكأنه يدور حول القطب الأوروبي، ذلك أن الأوروبيين هم الذين شرعوا، كما يقول المؤرخون، في دفع المسار الإنساني باتجاه «العولمة». من خلال «الاكتشافات الكبرى» التي وصلوا إليها، ثم عبر حركة التوسع الاستعماري التي قادوها كي يسيطروا من خلالها، على الجزء الأكبر من العالم. واستطاعوا نتيجة ذلك كله، فرض «رؤية للعالم» تقوم على مفهومهم للتاريخ.

حيث ساعدتهم مفاهيمهم والأدوات الجغرافية، من خرائط وغيرها، على تثبيت تلك الرؤية. ولكن الأمور تغيّرت اليوم، مع بروز «جغرافية جديدة» للعالم، فلم تعد أوروبا هي مركزها الموجّه، بل لم يعد الغرب الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية، القطب الذي تدور حوله مناطق العالم الأخرى. هذا ما يؤكده دارسون وباحثون كثر، ومن بين هؤلاء أستاذ الجغرافية التاريخية في جامعة «ديدرو» في العاصمة الفرنسية باريس، والذي يتساءل في عنوان كتاب صدر له، أخيراً، وهو: «هل تنبغي رؤية تاريخ العالم بطريقة أخرى؟».

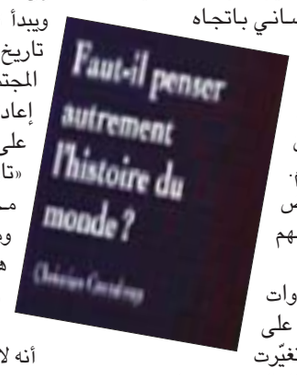

ويبدأ تحليلاته بتساؤل آخر، مفاده: كيف ينبغي كتابة تاريخ العالم، كما يفرض التداخل الكبير والمعمم بين المجتمعات البشرية؟ الحجة البسيطة للقول بضرورة إعادة النظر في «النسخة» السائدة لتاريخ العالم تقوم على أساس أن «الجغرافية الجديدة» تتطلب بالضرورة «تاريخاً جديداً». ثم إن زمن السيطرة الأوروبية في مجال صياغة الرؤية «التاريخية للعالم» قد ولّى ومضى.

هذا ما تؤكده أيضاً التيارات التي تعمل في إطار ما يسمى بـ«التاريخ الشامل» وتيارات «الدراسات ما بعد الاستعمارية». والتأكيد منذ البداية أيضاً، أنه لا يكفي لكتابة تاريخ جديد للعالم الانطلاق من القول بضرورة «نزع السمة المركزية الأوروبية» للتاريخ التقليدي السائد.

ولا يكفي اللجوء إلى «تفضيل» الجنوب على الشمال أو الشرق على الغرب، بل تقتضي الضرورة قبل كل شيء، الأخذ بمبدأ أن التاريخ «متعدد الأقطاب»، مثلما أن المجال الجغرافي العالمي «متعدد الأقطاب» هو الآخر. ومن هنا بالتحديد يبدأ، حسب رأي المؤلف، الشروع بكتابة «التاريخ الحقيقي» للعالم الذي نعيش فيه.

التغيّر في النظرة إلى تاريخ العالم، يحدده مؤلف الكتاب زمنياً، منذ عقدين فقط من الزمن، وبالتحديد مع ظهور حالة من التشكيك بتفوّق الغرب بجناحيه، المتمثلين بالولايات المتحدة الأميركية وأوروبا. وذلك بالتزامن مع بروز أقطاب عالمية جديدة، ليس أقلها شأناً الصين والهند والبرازيل.

ومن هنا يرى المؤلف ضرورة إيجاد «إطار جديد» للتحليل التاريخي، لا يكون محكوماً بمقتضيات التاريخ الغربي، كما يرويه ويتلقاه الغربيون. وأيضاً مؤطراً باعتبارات الواقع الجغرافي العالمي وتقسيماته والعلاقات القائمة بين مختلف مناطقه وبحالاته الجغرافية، أو ما يسميه المؤلف باختصار «جغرافية التاريخ»، وهذا المفهوم يعود، كما يقول المؤرخ الفرنسي فرنان بروديل، في كتابه التشهير: «البحر المتوسط والعالم المتوسطي في عصر فيليب الثاني».

يعود المؤلف إلى تحليل السياق التاريخي، الذي جرت فيه صياغة تاريخ العالم، حسب الرؤية الغربية: «ذلك تحديداً في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أي إلى الفترة التي أعطت فيها الثورة الصناعية (الأوروبية) الكبرى، ثمارها على صعيد التوسع الجغرافي الاستعماري، وأيضاً الفترة التي عرفت بناء (النموذج الوطني) ذا الطابع (التوحيدي) والذي يسمح بكتابة تاريخ خاص بمجال جغرافي محدد».

وبالتوازي مع ذلك يؤكد المؤلف أن أوروبا لم تحدد فقط (المحتوى التاريخي) للعالم، ولكنها قامت أيضاً بتقسيم هذا التاريخ إلى عدة مراحل تاريخية، تتمثل في الحقبة القديمة، ثم العصور الوسطى والتاريخ الحديث والمعاصر.

مثل هذا التقسيم يتماشى بالتحديد مع تاريخ القارة الأوروبية نفسها، وبالتالي ليس هناك ما يثير الدهشة في أن بقية مناطق العالم لا تظهر على المسرح التاريخي إلا من خلال الرؤية الأوروبية، كما يشير المؤلف. وهكذا أيضاً يمكن الحديث عن «اختراع القارّات». وبالمقابل تبنّي أطر أخرى تتماشى مع الرؤية الشاملة للعالم، التي هي أكثر تأقلماً مع مفهوم «العولمة». ومع الوقائع التي يحددها التاريخ الاقتصادي لمختلف الأقطاب التي ساهمت في صناعة التاريخ الإنساني.

ومما يلفت المؤلف الانتباه إليه بأشكال مختلفة، هو أن التقسيم الأوروبي والغربي عامة للتاريخ، على أساس عدة حقب متتالية، يتماشى مع معايير التخلف والتحضّر والتقدّم. وهكذا مثلاً يتردد القول حيال مجموعة من الأنظمة السياسية، على أنها تنتمي إلى العصور الوسطى، الأمر الذي يعني أنها متخلفة عن ركب الحداثة، أي عن «النموذج الموديل ـ الغربي».

والمطلوب، كما تقول التحليلات، محاولة «إدراك منطق الأماكن». وذلك بمعنى أن الخصوصيات الجغرافية تنتج نماذج تاريخية. وكذلك تاريخ «العوالم» المتنوعة ورؤية مجتمعاتها للعالم، ساهمت مجتمعة في صياغة «التاريخ الشامل» الذي تمثله العولمة. وبهذا المعنى ساهمت «الحقب القديمة» في صياغة ما هو قائم اليوم، أي صياغة «العالم» بالمعنى الشامل، الذي «لم يكن موجوداً باستمرار». كما نقرأ.

وبعد أن يؤكد المؤلف بطرق مختلفة ضرورة «كتابة تاريخ العالم بطريقة أخرى». يحرص على عدم تقديم أي برنامج، بالمعنى الدقيق للكلمة. كما يركز على ضرورة النظر لتاريخ العالم بقدر كبير من الجديّة، بمعنى «النظر بجدية إلى تاريخ الآخرين». وبالتالي «الخروج» من النموذج الأحادي في رؤية التاريخ، وأخذ التراث المشترك للإنسانية كلها في الاعتبار، عند التفكير بالتاريخ. والإرث المشترك، ليس كعملية جمع وإضافات، ولكن كـ«أفعال متداخلة».

باختصار؛ المطلوب كما يؤكد مؤلف هذا الكتاب، هو كتابة تاريخ العالم وليس كتابة تاريخ أوروبي للعالم.

الكتاب: رؤية تاريخ العالم بطريقة أخرى
تأليف: كريستيان غراتالوب
الناشر: آرمان كولان، باريس، 2011
الصفحات: 216 صفحة
القطع: المتوسط

21 فبراير
الانتخابات الرئاسية
مشاركة المرأة في الانتخابات تأكيد لدورها الفاعل في بناء يمن الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان
اللجنة العليا للانتخابات والاستفتاء